برز تيار كان يرى «.. أن الالحاح على الجانب النقابي يقود الى الغرق في النضال المطلبي والاقتصادي، الذي يبعد النقابة عن المجرى الثوري للنضال... وتحت ستار الضرورات السياسية جرى اغتيال الاولويات النقابية، التي لا يمكن لعمل سياسي أن يعيش بدونها»(٧). ويبدو أن هذه النظرة رافقت عمل الاتحاد منذ ذلك الوقت، وقد أعاد التاكيد عليها الشهيد ماجد أبو شرار في المؤتمر الثالث للاتحاد (نيسان ١٩٨٠) حين قال: «[لقد] أصيب اتحادنا بمرض تصاب به معظم الاتحادات الفلسطينية. ففي كثير من الاحيان قدمنا القضية السياسية على القضية النقابية والمهنية»(٨). مع ذلك، فما زالت سائدة هذه النظرة التي تعف عن ممارسة العمل النقابي في مثل هذا الاطار، وكأنه عمل أدنى من أن يمارسه المثقف الثوري.

□ سبق وأشرنا الى التميز الواضح لأشكال الابداع الثقافي الفلسطيني المنتجة فردياً عنها في الاشكال التي تحتاج الى تضافر الجهد الجماعي. الا أن مثل هذا الانتاج الفردي، النابع من هموم القضية والملتصق فيها، والمشروط بهاجس الابداع، ظل يستمد طاقته على الاستمرارية والعطاء من احساسه بتحقيق عملية التواصل وانتزاع بعض كلمات الاطراء التي شكلت حافزاً له، في حين قصرت المؤسسات عن تقديم الحوافز الموضوعية للمبدع، وأقلها تقديم الجوائز التقديرية للنتاجات المتميزة، وتخصيص منح التفرغ للانتاج الثقافي والابداعي، انطلاقاً من القناعة التي يجب أن تترسخ بأن الفعالية الثورية الأساسية للمثقف والمبدع الفلسطيني لا تتجسد الا في فعاليته الانتاجية والابداعية.

□ عكست ظاهرة التعصب التنظيمي، والتي سادت طويلاً في حياتنا السياسية (وان خفت حدتها في السنوات الأخيرة) نفسها، سلباً، على حياتنا الثقافية. فالتنظيم الذي ظفر في اطاره بـ«اسم» له سمعته الثقافية، منح مثقفه «هذا» شرف الانتماء الى العشيرة، وأعطاه حق النصرة ظالماً أو مظلوماً، مبدعاً أو مسيئاً الى الابداع. ومن هذا المنطلق، وتلك النظرة، ساهم «الاعلام الثقافي» المتعدد، في رفع وتمجيد نتاجات هابطة مصدرها العشيرة نفسها، مع القيام بدور معاكس ـــ أو التعامل بتجاهل مقصود، وربما لجهل باعثه ضيق مساحة الرؤية ـــ مع النتاجات التي جاءت من مصدر معاكس. مع العمل على وضع «التابوات» التي تحرم المساس بشرف نتاج ابن العشيرة.

□ لم تنعدم الجسور بين الثقافة الفلسطينية المنتجة في داخل الأرض المحتلة والثقافة الفلسطينية المنتجة خارجها، ذلك أن الثقافة، في كل الأحوال، لا تعدم أساليب الوصول والتواصل، سواء طال أمر تحقق ذلك أم قصر. رغم ذلك، فان العمل من أجل تثبيت وتعزيز الجسور الثقافية الممدودة بين الداخل والخارج، ظل محدوداً وارتجالياً، ومعتمداً على المبادرات الفردية، في ظل غياب الخطة الثقافية الشاملة، والهادفة الى المساهمة في تأسيس أو تعزيز المؤسسات الثقافية المستقلة والقادرة على تأدية دورها (الثقافي)، وغير المرتبطة بأكثر من علاقات تفاعلية مع المؤسسات الثقافية الفلسطينية خارج الوطن المحتل، بعيداً عن روح الهيمنة أو التبعية.

□ اعرف عدوك، شعار ما فتئنا نردده منذ سنوات طويلة. ففي حين أدركنا ضرورة دراسة عدونا ومعرفة أساليب عمله وتفكيره من مصادره نفسها، وترجمنا ذلك الادراك